الباب الاول

(فى النفس)

النفس جوهر غير محسوس بحاسة ما (١)

عرفها الاخلاقيون بانها الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية

---

(١) تنقسم النفس الى انسانية وحيوانية ونباتية ورحمانية وناطقة وقدسية ولكل تعريف

فالنفس التى نبحث فى موضوعها (وهى الناطقة) هي الجوهر المجرد عن المادة فى ذاتها مقارنة لها فى أفعالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت مطمئنة الخ

والجوهر ماهية اذا وجدت فى الاعيان كانت لا فى موضوع وهو منحصر فى خمسة

هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل

والجوهر ينقسم الى بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة والى بسيط جسمانى كالعناصر والى مركب فى العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل والى مركب منهما كالمولدات الثلاث

وعلماء الشرع يقولون انها لطيفة ربانية روحانية لها علاقة مع القلب الجسمانى وهى المدرك والمدبر والمطالب من الانسان والمعاقب والمعاتب

وعند الصوفيين هى الاصل الجامع لكل صفة مرذولة فى الانسان ولذا تجب مجاهدتها مستدلين بأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك

توصف النفس باختلاف أحوالها

فان عن الرذائل تخلت وبنور القلب تنورت وبالفضائل تحلت فمطمئنة (١)

وان عملا صالحا وآخر سيأ خلطت وكلما غفلت بقدر غفلتها تنبهت فلوامة (٢)

---

(١) النفس المطمئنة هى التى خرجت من صفاتها الذميمة الى محمود الاخلاق وجميل الصفات واليها أشير بقوله تعالى «يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية»

(٢) اللوامة هي التي ان صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها

وان لشهواتها اتبعت ولداعى هواها أجابت والى الطبيعه البدنية مالت وباللذات الحسية أسرت وللقلب الى الجهه السفلية جذبت وللاخلاق الذميمة جمعت فامارة بالسوء (١)

﴿ أدبها ﴾

أدب النفس تهذيبها (٢) بعد ان تصل الى قوى ترشدها وتطهيرها من فجور يفسدها واعدادها لمعرفة مايلزم لها مما وجدت لاجله من ممدوح نافع وشريف يتبع وماعلمها من حقوق مطلوبة وواجبات مفروضة ووقوفها على أمهات الاخلاق من حكمة (٣)

---

(١) النفس الامارة هي مأوى الشرور ومنبع ردىء الاخلاق وذميمها ان النفس لامارة بالسوء إلا مارحم ربى

(٢) تهذيبها تنقيتها وتطهيرها

(٣) الحكمة هيئة للقوة العقلية العلمية المتوسطة بين الجربزة التى هى افراط هذه القوة والبلادة التى هى تفريطها

وعرفها بعضهم بأنها علم يبحث فيه عن حقائق الاشياء على ما هي عليه فى الوجود بقدر الطاقة البشرية فهى علم نظري غير آلي

وعفة [١] وحياء [٢] ودعة [٣] وصبر وسخاء وقناعة ومسالمة ووقار وشجاعة وثبات وحلم وسماحة [٤] ومسامحة وعدالة وصدق وتودد ومقابلة اساءة باحسان ومروءة والبعد عن طرفي ماذكر وما باينه

تلك خير اخلاق اهل الدنيا فاذا وصفت بها فقد اتممت مكارم الاخلاق وانك لعلى خلق عظيم

﴿ الخلق ﴾

الخلق ملكة [٥] تصدر عنها الافعال الاختيارية بلا

---

(١) العفة هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة والخمود الذى هو تفريطها ومباشرة الامور على وفق الشرع والمروءة

(٢) الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذر اللوم فيه وهو نوعان نفسانى وهو ما بالنفوس كلها كالحياء مما يقبح عادة وعرفا وايمانى وهو ما يمنع المرء من فعل معصية خوفاً من الله تعالى

(٣) الدعة عبارة عن السكون عند هيجان الشهوة

(٤) السماحة بذل مالايجب تفضلا

(٥) الملكة صفة راسخة فى النفس

فكر ولا روية

اي انه صفة في النفس راسخة تصدر عنها جميع الافعال بسهولة من غير احتياج لتفكر

فان كانت الافعال الصادرة عنها جالبة للسخط العام مستكبرة منفرة تخلق سيء

واذا كانت جميلة مشكورة مألوفة عادة وعقلا وعرفا فخلق حسن وهو مانبغي ان نتروض على محاسنه لان احب الناس الى الناس من حسن خلقه واكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا

﴿ حسن الخلق ﴾

حسن الخلق هو الاعتدال والتوسط في قوى النفس واوصافها دون ميل الى منحرف اطرافها

وحقيقة حسن الخلق ان تصل من قطعك وتعطي من

وتحقيقه ... انه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الافعال ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة مادامت سريعة الزوال فاذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس الى ذلك الفعل عادة وخلقا

حرمك وتعفو عمن ظلمك معتبراً عند نظرك مفكراً حال صمتك عادلا فى رضاك وغضبك مقتصداً فى غناك وفقرك سهلا فى معاشرتك خافضا لجناحك متواضعا لاخوانك حليما فى اطوارك واصلا لرحمك غير ظالم فى معاملتك وفيا بوعدك متجاوزاً عن عثرات اخوانك معتدلا فى جميع امورك عاملا فى نشاطك وكسلك بصيرا بعيوب نفسك حريصا على أصول ما سمعت

فمن اخذ بأحسن البشر اذا لقى وبأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا حولف وترك مجالسة من لا يرجع الى دينه ومن الكلام مايعتذر منه فقد حسن خلقه ووسم بالتهذيب

﴿ كيف نصل الى تهذيب النفس ﴾

تخلق النفس محتاجة الى غذاء ينميها وتربية تطهرها فالعلم بما يجعلك مدركا [1] للفرق بين الصدق والكذب

---

(١) الادراك تمثل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفى أو اثبات ويسمى تصورا ومع الحكم باحدهما يسمى تصديقا

والحق والباطل والجميل والقبيح قولا واعتقادا وفعلا أكبر غذاء

وتقويم النفس اذا مالت الى إحدى الرذائل كالفحش والكذب والغيبة والنميمة واللمن والبذاءة وخلف الوعد والمزاح والحقد والحسد والتجسس والعجب والبخل والكبر والطمع والرياء والظلم وشرب الخمر وما شاكل ذلك ومعالجتها بما يقابل تلك الرذيلة من الفضائل اعظم مرب ومؤدب ومهذب لها

وبارشادها الى ذلك تكون اوتيت فضلا وحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيرا